هذه هى الكويت

— ١ —

كان رفيق فى هذه الرحلة أحد الزملاء من بيت الكويت وكنا وقوفا أمام موظف شركة الطيران ننتظر استلام تذاكر السفر . وبعد أن عد الثمن راح يقرأ : الإسم . . السن . . رقم الجواز . . تاريخ إصداره . . وتوقف عن القراءة ثم رفع رأسه وقال : جوازاتكم هذه قديمة !.

فتبادلنا نظرات الدهشة ، زميلى وأنا ، كيف وصل إلى علمه نبأ الجوازات الجديده ؟ وما لبثنا أن قلنا له : صحيح إنها قديمة ، ولكننا سافرنا قبل إصدار الجديدة . فتفرس الموظف فى وجوهنا مستفسراً : قديمة وجديدة !. لست أفهم شيئاً . إن جوازاتكم انتهت مدتها ولابد من تجديدها لتتمكنوا من السفر . . قلنا : ولكن سبق لنا السفر عدة مرات بدون تجديد ، وسبقنا زملاء لنا من قبل سافروا ولم يجددوا ، كما إنك وعدتنا بالأمس بأن نسافر على طائرة الغد فأبرقنا لأهلنا بموعد السفر ، فتصور حالهم لو تأخر وصولنا ، فما الذى حدث اليوم ؟. قال : إنى لم ألاحظ أمس تاريخ الجواز . وبعد نقاش طويل قلنا له : ألسنا فى مصر وهذه تأشيرة الحكومة المصرية تصرح لنا بالسفر ، وألسنا نريد البصرة وهذه تأشيرة المفوضية العراقية فماذا يبقى إذن ؟ . قال : يبقى أن جوازاتكم غير صالحة للاستعمال ، وأخشى إن سافرتم أن تعادوا ويكون ذلك على مسئوليتى ، قلنا: مادامت مصر والعراق قد سمحتا فمن يعيدنا ؟ قال : من يدرى ، ربما الكويت !.

لم يبق للكويت إلا أن ترفض أبناءها ، وهى التى يجئ إليها كل يوم عشرات ومئات من مختلف الأجناس والألوان .. وإذا به يقول : عشرات أو ألوف ، أجانب أو مواطنون ، هذه ألف باء الأصول المتبعة فى السفر ودخول البلدان. فقال زميلى: ألا من يبلغ مسامع الكويت هذه الألف باء ؟. فقلت لاتحزن ، فإبلاغها سهل ميسور ، وأيسر منه تكملة الألف باء إلى الياء !.

* * *

ثم كان السفر ، وطريقه معروف ، وهاهى ذى الطائرة تحلق فى سماء الوطن العزيز ، وما أن هبطت حتى تسابقنا إلى الباب لرؤية الأهل والأصحاب . ولكن ما أعظم خيبة الأمل ، إذ لم نجد لهم أثراً بين المستقبلين ، فنزلنا ووقفنا مع الواقفين فى وهج الشمس المحرقة . وملت على صاحبى أسأله : أهذا هو مطار درة الخليج ؟ . مضرب خيام !. وإذا بنا نسمع أحد الواقفين بقربنا يقول : « لشمس الكويت اللاهبة خير لكما من ظل الأجنبى » فالتفتنا ننظر إلى صاحب الصوت . مادخل هذا بذاك ؟ وإذا به يواصل كلامه فيقول : لا تعجبا ولا تأسفا إن وجدتما مطارنا مضرب خيام فما ذلك إلا لتنافس هيأتين كل تريد لنفسها شرف بنائه ، إحداهما بحجة أن لها طائرات تحلق فى سماء الكويت . والأخرى بحجة أنها سبق لها أن استأجرته — وحدث ذلك فى ظروف خاصة زالت الآن — ولا أخالكم تعتقدون أن وجود طائرة لأى شركة سبب كاف لبناء مطار وإلا أصبح لكل شركة فى العالم مطار فى كل بلد !. وهذا محال . قلت : لا أعتقد ، ولكن ذلك لا يمنعنى من أن أجزل الشكر للهيأتين لو تكرمتا ببناء المطار معاً . وإذا بمحدثى يقول : لا تعجل ببذل الشكر . لأن الشاكر هنا غيرك ، والمشكورة هى الكويت ، لأنهم لا ينشئون المطار لسواد عيون الكويتيين بل لمصالحهم الخاصة . منها أنهم يتقاضون ضريبة على كل طائرة تهبط هنا ، وهذا مورد لابأس به خصوصاً فى مستقبل الأيام ، قلت : إذن فليبنوه ليؤول إلينا بعد حين كما هو متبع فى معظم الامتيازات . قال : ولكن هذا ليس بامتياز . وهنا تدخل صديق وقال: ألاترون معى أن الكويت غنية بخيامها؟ قلنا : بلى . قال : فاضربوا خيامكم حيث تشاءون ، فأرض الكويت واسعة !.

ولمحت حقيبتى تسقط من يد حاملها عند إنزالها من الطائرة، فأسرعت أجمع ماتناثر منها، وحضر زميلى إذ ذاك وأخبرنى أنه اتفق مع سائق سيارة ليوصلنا إلى منازلنا . وحضر السائق ليحمل الحقائب إلى السيارة . فاستمهلته ريثما نفتش . فضحك وقال : إن هذا مطار وليس بجمرك فتركت الحقيبة ولم أحكم غلقها لأننا سنصل عما قليل إلى الجمرك. ووصلنا إلى الجمرك فعلا بعد قليل، وتمتعنا بمشاهدة بنايته الجميلة ، وأجمل من ذلك ألا يتمتع المفتشون برؤية

حقائبنا وما فيها ، لأننا مررنا بالجمرك مر الكرام . وهنا سألني زميلي قائلا : من هذا الشخص الذي كان يحدثنا في المطار ؟ فقلت على الفور : ألا تعرفه ؟ لقد كنت أحسبه أحد معارفك . وقد اعتمد عليك بأن أسألك بعد أن يذهب ولكن الآن كيف ننقل ماقاله ، ونحن لا نعرفه وهل هو صادق أو غير صادق ؟ فقال زميلي : لننقله ، وقل قال الراوي ، واسأل الله معي ألا يكون صادقاً فيما قال . ولم ينقذنا من حيرتنا إلا وصولنا إلا منازلنا ، وكانت مفاجأة لأهلنا وذوينا ..

* * *

وخرجت إلى السوق لألتقي بالأصدقاء والأصحاب ، ولكن أحقاً نحن في الكويت ؟ وهذه سوق الكويت ؟ فأين الكويتيين إذن ؟ أهذه الصفاة قلب الكويت النابض ؟ هكذا أصبحت مكتضة بأكوام — ولاأقول صفوف — من السيارات . وقد ازدحمت الأسواق بالناس ، ولكن أي ناس هؤلاء ؟ . ماأبعد الفرق بينهم وبين الكويتيين . إنهم أجناس مختلفة ، وأزياء متباينة ، ولهجات ولغات متعددة ، لم تطرق سمعي في الكويت قبل الآن . وفي وسط هذا الخليط العجيب من الأجناس سرت وأنا أشعر أني غريب بينهم ، وبعد لأي وجدت أحد أصدقائي فسلمت عليه وإذا به يسألني : ألا ترانا تجاراً مهرة نستحق التهنئة ؟ لقد جلبنا أغلى البضائع من واردات البشرية التي تراها أمامك فقلت : لاشك في مهارتكم كتجار ، ولكن أخشى ما أخشاه أن تستقر وارداتكم البشرية في الكويت وتعجزون عن تصديرها ! . .

* * *

وبعد أيام قليلة من وصولنا حضر إلى رفيق الرحلة ، وقال ضاحكا : أبشرك فإننا سنسافر إلى الكويت في اليوم الفلاني ، فقلت : حقاً لقد خامرني الشك أني لست في الكويت لو لم أجد أهلي وبعض من أعرفهم . ثم قلت له : أين نحن الآن ؟ فمد يده إلى بظرف أبيض صغير ، ومالبث أن سحب يده حينما رأى ساعي البرقيات يترجل عن دراجته ويناولني برقية ، ففتحتها وإذا هي التي أرسلتها بنفسي من مصر أعلن أهلي بموعد سفرنا ! فالتفت لصاحبي وإذا هو مغرق في الضحك يلوح لي بالظرف الذي بيده وكأنه يقول : « كلنا في الهوى سواء . . » ولم يسعني إلا أن أجزل الشكر لهمة دائرة اللاسلكي «المحدودة» فقال زميلي : يظهر أن عدوى السلحفائية البطيئة قد انتقلت من مصلحة البريد إلى اللاسلكي

كلما فتحت مدرسة أغلق سجن

المدارس تعالج النفوس من براثن الجهل كما تعالج الأجسام في المصحات من الأمراض الخطيرة بالوسائل الطبية الممكنة. فلانقل إذن واجبات المدارس عن واجبات المستشفيات. والطبيب فيها هو المدرس والعقاقير هي الدروس المفيدة الكفيلة بتكوين شخصيات الناشئين ، وهم رجال المستقبل وأملنا المنتظر .

ولما كانت الأدوية تتفاوت وتختلف في قيمتها الطبية والمادية . كذلك الحال في الدروس فأنجعها ماعالج الروح مباشرة باتباع الصفات الحميدة :

١ — صفات روحية : تسمو بالمرء إلى عالم الوحدانية والعبادة وحب الحرية والوطن والدفاع عنه ماأمكن .

٢ — صفات اجتماعية : حب الخير للإنسانية والتعاون ومناصرة الحق ومساعدة الضعيف والإخلاص في العمل .

هذه الصفات الممتازة التي حث عليها القرآن الكريم . تجعلها المدارس في طليعة برامجها . إذ هي الحجر الأساسي في بناء أخلاق الطلاب . وتقدم المدارس باقة أخرى من الدروس التي توقظ النشء وتحبب إليه تاريخ الآباء والأجداد. فيعرف الطالب العربي مثلا عن الفتح الإسلامي ويرسم حدود الامبراطورية العربية ، وأن ابن الخطاب أحد أمرائه وخالد ابن الوليد أحد قواده . وليحفظ ماقاله الرشيد للغمامة « امطري أنا شئت فسيأتي خراجك » .

وتجهز المدارس روادها بالعلوم والفنون النافعة التي يكتسب منها الإنسان عند الحاجة ، ويسد نقصه دون أن يطأطيء الرأس لمخلوق بذلة وانكسار راجياً نواله .

وفي ساحة المدرسة تبنى أجسام جيل المستقبل بألعاب منمظة مناسبة للأعضاء والمفاصل وتحريك دورة الدم دون أي خطر .

بهمتك أيها المدرس المخلص تفتح المدارس أبوابها ، ومن طيب غرسك يسرع الشعب بتقديم أبنائه إليك ، فأنت أنت الطبيب الماهر ، فأحسن استعمال عقاقيرك ، لتخلي السجون من روادها ، وتريح العباد من غياهبها وظلماتها .

كويت — ع . د .

وقد يكون مفهوما موقف دائرة البريد لأنها اتخذت لنفسها شعاراً «في التأني السلامة». قلت: لاشك أن شعار اللاسلكي « العجلة من الشيطان » ..

المبعوث الثائر